د. خيرالدين دعيش

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي
جامعة سطيف 2

مقياس نظرية الأدب للسنة الثانية ليسانس

المحاضرة : المحاكاة عند أرسطو .

لقد استطاع هذا الفيلسوف أن يضع أول كتاب نقدي في تاريخ البشرية، كتاب (الشعر)، Poésia عدا بعض النقول التي نقلته بأسماء أخرى (فن الشعر) و(في الشعر)، والكتاب كما يبدو حافل بآراء أستاذه أفلاطون لكن يتجلى رفضه لها بصورة تقرأ بين ثنايا سطور الكتاب، فهو تعليق وردّ على أفكار أفلاطون بكيفية غير مباشرة، ويرجّح المؤرخون أن كتاب أرسطو هو أهم مؤلف في تاريخ النظرية وهو قد هيمن على العقل الدبي والنقدي الأوروبي لفترة تزيد على الألفي عام، مؤثرا بذلك في النقد الإنجليزي فالنقد الكلاسيكي التقليدي الأوروبي حتى أواسط القرن الثامن عشر، إلا أن الكتاب لم يصلنا بأكمل ما يحويه عدا الأجزاء التي تتناول المأساة والملحمة.

ويمككن القول بأن نظرية المحاكاة قد ارتبطت بأرسطو أكثر من ارتباطها بأفلاطون لأهمية المبادئ النظرية التي أرساها أرسطو في كتابه (الشعر)، فإذا كان أفلاطون قد تحدث عن الشعر من خلال اهتمامه أساسا بالبحث في الوجود والمعرفة والأخلاق فإن أرسطو قد ضمن كتاباته الفلسفية والعلمية الكثير من آرائه الجمالية إضافة إلى كتابه (الشعر)، ولعل هذا يدل على أهمية الشعر لديه، كما قد يدل على تباين موقفه من الشعر عن موقف أفلاطون، كما اهتم أرسطو بدراسة التراث اليوناني المعاصر له، وحاول من خلال دراسته للأنواع الأدبية الموجودة في عصره أن يستنبط مفاهيم نظرية تتصل بنشأة

هذه الأنواع وطبيعتها ووظيفتها، فأرسطو يستخدم المنهج الوصفي الاستقرائي، بينما استخدم أفلاطون المنهج التأملي.

1

- الشعر شكل من المحاكاة:

يرى أرسطو أن الشعر نوع من المحاكاة، ولكنها غير المحاكاة التي استخدمها أفلاطون الذي كان يرى بان الشعر محاكاة للمحاكاة، وبالتالي فهو تزييف إذ كان أفلاطون قد عمم آلية المحاكاة على كل شيء في العالم الواقعي، فإن أرسطو قصرها فقط على الفنون، وهي ليست عملا حرفيا بحتا بالشكل الذي تفعله المرآة، بل يعمل الأديب على أن يتصرف فيما يحاكيه، ويضيف أرسطو بأن الشاعر لا يحاكي فقط ما هو كائن، وإنما يحاكي ما يجب أن يكون، لأن الشعر عنده يبحث في الكليات، وما دامت الطبيعة ناقصة فإن الفن هو الذي يكمل ذلك النقص، لذلك فإن الشعر مثالي وليس نسخة مطابقة لحياة الانسان.

والشعر عنده يحاكي الناس في افعالهم إما كما هم، أو أسوأ منا، أو أفضل منا، فهم إما أشرار وإما أخيار يقول في كتابه (الشعر): "يكون الذين يحاكون في الشعر إما شرا منا أو خيرا منا أو مثلنا".

ثم يرد أرسطو على أفلاطون حين قال بفتنة الشعر بما ينطوي عليه من وزن وايقاع ولحن، ولكن أرسطو يقرر بأن ما يصنع الشعر ليس الوزن والموسيقى بقدر ما هو عنصر محاكاة العالم الكوني، أي محاكاة المعاني الكلية العامة لا الخاصة، وهذا يعني محاكاة ما يمكن أن يحدث لا ما حدث فعلا، وهنا يميز أرسطو بين وظيفة التاريخ الذي يبحث في محاكاة الجزئيات ومحاكاة ما كان، في حين الشعر يحاكي الكليات وما يجب أن يكون.

2-موضوع المحاكاة:

الشاعر عنده لا يحاكي الطبيعة والأشياء ومظاهرها فحس، بل يحاكي أيضا انطباعات الناس الذهنية وأفعالهم وعواطفهم، فالإنسان المحاكي إما أن يكون مثاليا عظيما أو أقل مستوى، فالتراجيديا للمثاليين العظام، والكوميديا الأقل مستوى، وأرسطو هنا يؤكد على محاكاة فعل الشخصية لا محاكاة

الشخصية بحد ذاتها، يقول في كتابه (الشعر): "فإن التراجيديا ليست للمحاكاة بل للأعمال والحياة وللسعادة والشقاء، هما في العمل، والغاية هي فعل ما وليست كيفية ما، على أن الكيفيات تتبع الخلاق، أما السعادة أو ضدها فتتبع الأعمال....ثم إنك لا تجد تراجيديا قد خلت من محاكاة فعل، ولكنك قد تجد تجريديا خالية من محاكاة الأخلاق"، فالسعادة المطلقة أو الخير المطلق وهو الهدف من الحياة ليس مجرد صفة يتصف بها الفاعل وإنما هي فعل من نوع معين، وبذلك فالشخصية المسرحية تمثل لنا الصفات ولكننا لا نسعد ولا نشقى إلا بالحركة أي بالأعمال والأحداث، وعلى ذلك لا نريد من المسرحية أن تمثل لنا الصفات او الاتصاف، إننا نريد منها أن تتحرك، أن تعمل وفقا لهذه الصفات، والشخصية تفهم من خلال الحركة وهي متضمنة فيهان فالشعر لا يصور شجاعة البطل المذكور بالذات ولكن يصور الشجاعة ممثلة في هذا البطل بشكل من اشكالها، لهذا يعتبر ارسطو الحدث أو القصة أو الحبكة أهم أجزاء التراجيديا التي تتكون حسب أهميتها من: الحبكة- الشخصية- الفكرة- الأداء- الموسيقى- المشاهدين.

3-نشأة الشعر ومصدر متعته:

اختلف أرسطو عن أساتذة حين قال بوجود قوى خارجة عن الطبيعة الإنسانية مثل الالهام والوحي في قول الشعر، في حين رأى أرسطو بان الدافع إلى قول الشعر مرتبط بالطبيعة الإنسانية، فالشعر عنده يولد بغريزة المحاكاة وغريزة حب الوزن والايقاع، فالمحاكاة غريزة إنسانية، والانسان فطر على حب النغم الموسيقي، وبهذا التفسير خطأ أرسطو بفلسفة الفن والأدب خطوة واسعة جدا إذ ربط بين الشعر والطبيعة الإنسانية برباط وثيق، أي اعتبره ظاهرة بشرية ذات خلفية نفسية واجتماعية ويترتب على هذه الحقيقة نتائج مهمة:

فإذا قلنا بالوحي والالهام فغن هذا يعني أننا نعيد الشعر إلى مصدر خفي عن أنظارنا ومداركنا أي نربطه بقوى لا نعرف عن كنهها أو سرها أو هدفها أي شيء، أما إذا قلنا مع أرسطو، بان الشعر ظاهرة إنسانية فهذا يعني أنه جزء من النشاط الانسانين يمكن فهمه وتحليل ماهيته والتعرف على بواعثه ومهمته.

ويضيف أرسطو بان غريزة المحاكاة توجد عند الانسان منذ الصغر وبها يحصل على معارفه، فالمحاكاة وسيلة للتعلم واكتساب المعارف، ولا شك بأن اكتساب المعارف يؤدي إلى المتعة.

وإذا كان الشعر شكلا من المحاكاة فلا بد أن يكون ممتعا ومؤديا إلى التعلم، لذا فالناس يستمتعون بمشاهدة قطعة أدبية لسباب عدة منها: أن هناك متعة في محاكاة أشياء وحوادث معينة (كالقتل والجسد الميت) مع أن هذه الأشياء تكون مؤلمة في الحياة الواقعية، كما أن الفن والشعر يعلم أشياء جديدة والتعليم يعتبر متعة، وإذا لم يعلمنا جديدا فنحن نستمتع بمشاهدة ما كنا نعرفه، وأخيرا هناك متعة بفينات وتقنيات العمل الأدبي.

ولكن إذا كانت المحاكاة غريزة إنسانية توجد مع الانسان منذ الطفولة فما الذي يجعل من فلان شاعرا دون غيره؟ يرى أرسطو أن الانسان أقدر الكائنات الحية على المحاكاة، وأن الشاعر يرتقي بقدرته من خلال الدربة والممارسة (فالشعر لديه صنعة أو صناعة) يقول أرسطو: "فالشعراء أخذوا يرقون بها (المحاكاة) قليلا حتى ولدوا الشعر من الأقاويل المرتجلة..."

(أرسطوطاليس في الشعر ص38)